الأم لطيفة

قدمت أربعة من فلذات كبدي هدية للثورة، ولست نادمة قط فلو كنت أملك غيرهم لما بخلت

وقفت الخنساء تخطب أولادها الأربعة قبل بدء المعركة قائلة: يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، فأعلموا إن الدار الآخرة خير من الدار الفانية..فإذا رأيتم الحرب قد سمرت على ساقها وجللت نارا على أوراقها فيمموا وجادلوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقاومة.

في الظروف العصيبة لشعب ما تظهر الشخصيات التي تترك أثر لها في تاريخ هذا الشعب، وفي التاريخ الكردي نجد الكثير من الامهات اللواتي قدمن من فلذا أكبادهن بكل سخاء للثورة في سبيل رفع عزة هذا الشعب، وإحدى تلك الأمهات هي الأم لطيفة التي قدمت أربعة من أولادها هدية للثورة. فتقول الام لطيفة: قدمت أربعة من فلذات كبدي هدية للثورة، ولست نادمة قط فلو كنت أملك غيرهم لما بخلت.

إذا كانت للمدارس والجامعات تأثير كبير في تثقيف العقول وصقل الأذهان، فن للام تأثير أكبر لانها نعلم في مدرسة البيت ما لا يعلمه أقدر استاذ في أعظم كليات العالم.

والان لنترك حرية الكلام لأم الشهداء وهل هناك أصدق كلام أم عن أبنائها.

كبرت في واقع مثقل بالمفاهيم الاقطاعية بعيدة عن العلم والثقافة تزوجت في الخامسة عشر من عمري وأنا لا أدرك من المسؤولية الزوجية شيئا، لكن الواقع المرير كان يفرض علينا الزواج المبكر لانها تعتبر صون للشرف هكذا رزقت بستة أولاد، بعد وفاة زوجي تحملت لوحدي مسؤولية الأولاد فبذلت كل ما في وسعي لتربيتهم تربية صالحة وإرشادهم الى الطريق الصحيح، عملت في جني القطن وقطاف العدي، وأدخلتهم الى المدارس ليكتسبوا العلم والمعرفة حتى يتفادوا النقص الذي عشته أنا، ولكن الظروف المادية حالت دون تحقيق ذلك فلم تتمكن بناتي من الحصول على الشهادة الثانوية، حتى ابني الوحيد وبعد حصوله على الشهادة الثانوية تفرغ للمسؤولية لتخفيف العبء عني.

في عام 1988 تعرفنا على الحزب، وبتحليل واقع المجتمع الكردي وآلامه، وخاصة المرأة الكردستانية وما تعانيه من مصاعب جمة، شجعني هذا على الارتباط بأيديولوجية القيادة والحزب، لانها مهدت الطريق أمام الشعب الكردي ليعبر من خلالها عن حريته.

رغبت كلاً من نوجان ونركيز الانضمام الى صفوف الحزب فبادرت قبل كل شيء التباحث معهن على هذا القرار وكيفية إعطائه بالشكل الصحيح للوصول الى مراحل العشق الثوري هذا العشق الذي لا يأبه بالصعوبات مهما كانت الظروف قلت لهما:" لا أريد أن أكون عائقاً أمام انضمامكنّ، ولكن أرجو أن تكونا على قدر من المسؤولية في اتخاذ هذا القرار وإلا فلن أقبل بكما كبنات لي".

إن كلا الرفيقتين كانتا على درجة عالية من الذكاء وحسن السلوك هذا ما كان له التأثير الكبير على المحيط، بالرغم من صغر سنهما قد حازتا على احترام الشعب في المنطقة العلاقة التي كانت تربط بين الرفيقتين لم تكن علاقة أخوية فحسب، الأكثر من ذلك كان يجمع بينهما حب عظيم لا يفرقه أي ظرف كانتا تقولان دائما:" بمرور الأيام نستمد القوة من أيديولوجية الحزب ونتعلم من شعبنا الخبرة، فالنضال بين الشعب هي أكبر مدرسة وسنكون لائقات بدرب الشهيدات اللواتي سلكن درب الحرية والشرف أمثال بيرفان ودجلة وروكن، كثيرا ما كانت تردد عليّ نوجان قائلة: بصبرك وتربيتك الصالحة لنا وصلنا الى هذا المستوى فهي من أكبر المقدسات، لذا سأبذل قصارى جهدي لأكون لائقة بتربيتك وسادافع عن هذا الشعب الذي لم يذق طعم لحرية منذ آلاف السنين".

وبتأجج نار الثورة في كل ركن من أركان الوطن، تفتحت قلوب الشباب كما تتفتح الزهور في الربيع وتمطر الأمطار على الأرض اليابسة المتعطشة منذ غابر السنين فتملأ السهول بشقائق النعمان، فمن كل صوب تدفقت الأرواح الطاهرة

تتذود من ينبوع العطاء لتبني من جديد شجرة الميلاد. نعم في تلك الفترة انضم أكثر ما يقارب المئة من خيرة شباب المنطقة إلى صفوف الثورة ومن بنيهم كانت الرفيقتين نوجان ونيركز.

قبل أن تلتحقا بصفوف الثورة، سأقول لكما قولا واضحاً:" لا تنسوا أبدا هذا الشعب الذي ضمكما إلى صدره حتى آخر قطرة من دمائكم فالشعب ينتظركم وكل أمله أن تحققوا أنتم أبناء هذا الجيل حريته، ولن أذرف أي دمعة،بل إني فخورة بكما أيما فخر،لانه درب الشرف والحرية الإنسانية.

في أعوام التسعينات لم يستطع ابني " علي" حيث كان أب لطفلين التحمل والبقاء في البيت خاصة بعد التحاق أخواته الى صفوف الحزب، بإرادته الفولاذية وأخلاقه النبيلة وقراره الحاسم انضم هو أيضا الى الحزب ليتحد معهن روحا وفكرا، أثناء فترة بقائهئ في ساحة القيادة اكتسب ثقة تمكنه من تحقيق الانجازات الكبيرة، وقد كلف بمهمة نقل الرفاق إلى ساحة الوطن، بعدها بسنتين مارس الفعاليات التنظيمية بين الشعب بدون كلل أو ملل، حاول جاهدا أن يكون الجواب الأمثل لجهود القائد بتمثيله الشخصية الكادرية القادرة على اعطاء الصورة الأمثل للقائد وأمته ورفاق دربه، وبناء على اصراره للذهاب الى ساحة الوطن وافق القائد على طلبه بشرط ان يبقى في المعسكرات التدريبية، في البداية لم يوافق القائد لانه الابن الوحيد في العائلة ولكن بعزيمته أبى إلا أن يحتل مكانه بين الكريلا، وفي حوار بينه وبين القيادة قا له القائد:" إن الطاقات والامكانات التي وفرها لحزب، يجب أن تستخدم بشكل جيد، وأن تحققوا النصر وتخلقوا الانجازات في كل مكان هذا هو طلبي. فرد عليه الرفيق علي: إن القوة والامكانات الشخصية التي اكتسبناها من هذه الساحة سنجسدها ونزرعها في روح الرفاق وبالذات المقاتلين الجدد وسنكون جديرين بجهود القائد".

قبل ذهابه الى الوطن مع مجموعة من رفاقه قال لي في وداعه الأخير: لا أصدق يا أماه بأن حلمي المنتظر سيتحقق، إن تحقيقه هو ولادة جديدة لي في الحياة. حقا كان علي في ذلك لايوم وكأنه في يوم زفاف دديد نظرا الى طفلتيه وقبل وجنتيهما، عليك يا أماه أن تربيهم كما ربيت أولادك، إنهم أطفال الحزب والثورة يجب أن يكبروا ويتعلموا على مبدأ القائد.

لقد كنت على اتصال دائم بهم، على الرغم من المسافات الشاسعة التي بيننا، إلا إنهم لم يقطعوا عني أخبارهم في ساحة الحرب الساخنة، ففي إحدى الرسائل التي بعثتها الرفيقة نوجان ذكرت ما يلي:" إنني أعيش بحرية وعشق في كردستان، ولكن يجب تطوير ذلك بخوض النضال الشعبي، فلا يمكن أن نفصل الثورة عن الشعب إنهما مثل السمك الذي لا يستطيع العيش بدون الماء".

بعد ثلاثة سنوات من بقائهما في ساحة الوطن، وبناء على طلب القائد قدمت الرفيقتين نوجان ونيركز الى ساحة التدريب، عندئذ توجهت الى ساحة القيادة لرؤيتهما، حقيقة لا أستطيع وصف مشاعري في تلك اللحظات عندما رأيتهم واقفات بجانب القائد كأنهن لوحة فنية مزينة بنجوم مضيئة.. حمامات السلام.. فيهن روح الجسارة والنضال واكتسبن الشخصية الحزبية، في نفس الفترة سمعنا نبأ شهادة الرفيق علي الكلمات الاولى التي نطقتها عند سماعي هذ النبأ: مبارك هذا الدم على الشعب لقد طلب أنذاك من الرفيقة نوجان أن تعلن شهادة الرفيق علي حيث وجهت خطابا للشعب وقالت فيه:" صحيح إنني أتالم بإعلان شهادة رفيق دربي، ولكني بنفس الوقت اكتسب قوة أكبر لان مسؤوليتي ازدادت، لن أذرف دمعاً، فذرف الدموع للضعفاء سأزغرد بأعلى صوتي، لأن مرتبة الشهادة هي أعلى مرتبة يصل إليها الإنسان، إنها مرتبة الخلود. نعم لقد استشهد الرفيق علي عند عبوره مع رفيق آخر لنهر خابور، لقد رحل ولكن أمله وطموحه بقي حياً في وجدان كل شريف في هذا الوطن".

بعد شهادة الرفيق علي بفترة قصيرة هيأت الرفيقة نوجان نفسها مرة اخرى للذهاب الى ساحة الحرب الساخنة بشخصية ملؤها الحيوية والعزيمة، بذلت مجهودا لتطبيق فكر القائد في ساحة الوطن، وأثناء ظهور اشتباك بين قوات الانصار والقوات التركية، تنال شرف الشهادة بعد أن حاربت بكل بطولة وجسارة، وأثبتت بأن الفتاة الكردستانية قادرة على فعل المستحيل، وبذلك نفذت واجباتها الثورية، ولونت طبيعة غرزان بدمها الاهر، وأثبتت بأنهما جسد واحد في سبيل الوصول الى الأهداف النبيلة، ألا وهي السمو برفعة هذا الشعب نحو العلا، هكذا غدت الرفيق الشهيدة نوجان

ضيفة أبدية على أخوها الشهيد علي وأصبحت بجواره خالدة، هكذا يكون الترابط الأخوي حقق العهد بينهم وبين الثورة. نعم أنتم تلك النجوم الساطعة في سماء وطننا ومقاومتك البطولية أصبحت عنوان الثورة والخلود.
وكما يقول القائد آبو:" الشهادة تعني الحياة بل هي جوهرها".